١٥٢ ـ سارة بنت هازان بن ناحور

ويقال سفوهن بن ناحور

زوج سيدنا إبراهيم الجليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام . روي أنها كانت معه بعين الجرّ[١] من دمشق .

ولد لإبراهيم إسماعيل ،وهو أكبر ولده ، وأمه هاجر قبطية ، وإسحاق وكان ضرير البصر ، وأمه سارة بنت شوئل بن ناحور بن شاروغ بن أرغوا بن فالج بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وماتت سارة فتزوج إبراهيم امرأة من الكنعانيين يقال لها قنطورا .

قال الضحاك :

كان اسم سارة يسارة . فلما قال لها جبريل : ياسارة ، قالت سارة : إن اسمي يسارة فكيف تسميني سارة ؟ قال الضحاك . يسارة : العاقر من النساء التي لاتلد ، وسارة : الطالق الرحم التي تلد وتحمل الولد ، فقال لها جبريل : كنت يسارة لاتحملين ، فصرت سارة تحملين الولد فترضعينه ، فقالت سارة : ياجبريل ، نقصت اسمي ، قال جبريل : إن الله قد وعدك بأن يجعل هذا الحرف في اسم ولد من ولدك في آخر الزمان ، وذلك أن اسمه عبد الله حي فسماه يحيى .

خرج إبراهيم حتى جاوز كوثى ربّى[٢] ، وتزوج سارة بنت قوهن بن ناحور بعدما

---

(١) عين الجرّ : موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق . معجم البلدان .

(٢) في الأصل (كرما ربا) وقد أشير في الهامش بحرف « ط » والمثبت من معجم البلدان ٤٨٧/٤

أهلك الله الملك وأمره الله بالإجلاء عن بلاده ، وأمره أن يلحق بالأرض المقدسة ، وكان يوم تزوج وخرج من بلاد قومه إلى الأرض المقدسة ابنَ ثمانين سنة ، ثم خرج وتزوج سارة وخرج معه هازان أخوه ، ولوط بن هازان وهو ابن أخيه ، فذلك قوله عزّ وجلّ ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وقَالَ : إِنِّي مُهَاجِرٌ إلى رَبِّي ﴾[1] فمضى مع إبراهيم وسارة فتزوجها إبراهيم على ألاّ يراها غيره ، وكانت سارة من أحسن نساء العالمين .

قال ابن عباس :

قسم الله الحسن عشرة أجزاء فجعل منها ثلاثة أجزاء في حواء ، وثلاثة أجزاء في سارة ، وثلاثة [١٢٢ / أ] أجزاء في يوسف ، وجزءاً في سائر الخلق . فكانت سارة من أحسن نساء أهل الأرض ، وكانت من أشد نسائهم غيرة .

وعن ابن السائب قال :

خرج إبراهيم من حَوزان يؤم أرض بني كنعان حتى عبر الفرات إلى الشام فانحرف لسانه عن السريانية إلى العبرانية ، وإنما سميت العبرانية لأنه تكلم بها حين عبر الفرات ، ومضى حتى أتى انتلك ملك بني كنعان بالشام وعظيمهم الذي يَدين له عظماؤهم يومئذ ، وكان ينزل عين الجَرّ من أرض البقاع من جند دمشق ، وكانت الشام يومئذ منسوبة إلى فلسطين فقال له انتلك : إنه لاطاقة لي بمعاندة نمروذ ، وقد جاورتنا مخالفاً له ، فقال إبراهيم : إن إلهي يمنعك منه فأجار إبراهيم ، وسأله أن يزوجه سارة ، فقال : إنها زوجتي فلم يعرض لها ، وقال : انزل حيث شئت من أرضنا ، وبعث إلى عظماء النواحي يأمرهم بحفظه وحسن مجاورته فنزل اللُّجون - قرية من قرى الأردن - ثم تحوّل منها إلى أرض فلسطين فنزل ناحية منها ، يقال لها السَّبْع[2] من أرض بيت جِبْرين[3] ثم تحول إلى قرية يقال لها حَبرى[4] فيما بين جبرين وبين البيت المقدس فأقام بها .

---

(١) سورة العنكبوت ٢٦/٢٩

(٢) السبع : ناحية في فلسطين بين بيت المقدس والكرك فيها سبع آبار سمي الموضع بذلك . معجم البلدان .

(٣) بليدة بين بيت المقدس وغزة أقرب إلى غزة . معجم البلدان .

(٤) هي حَبرون : اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام ، بالبيت المقدس . معجم البلدان : حبرون .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات : قوله حين دعي على آلهتهم ﴿ إِنِّي سَقِيم ﴾[1] وقوله ﴿ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هذا ﴾[2] وقوله لسارة إنها أختي .

قال : ودخل إبراهيم قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة ، فقيل : دخل إبراهيم الليلة بامرأة من أحسن الناس ، قال : فأرسل إليه الملك أو الجبار : مَنْ هذه معك ؟ قال : أختي ، قال : أرسل بها ، فأرسل بها إليه ، وقال لها ، لاتكذّبي قولي ، فإني قد أخبرته أنك أختي ، وليس على الأرض مؤمن غيري وغيرك ، فلما دخلتْ إليه قام إليها . قال : فأقبلت توضأ وتصلي وتقول : اللهم ، إن كنتَ تعلم أني آمنتُ بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلطْ عليَّ الكافر ، قال : ففط حتى ركض [١٢٢ / ب] برجله ، فقالت : اللهم ، إنه إن يمت يُقَلْ هي قتلته ، قال : فأُرسل ، ثم قام إليها . قال : فقامت توضأ وتصلي ، وتقول : اللهم ، إن كنتَ تعلمُ أني آمنتُ بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلّط علي الكافر ، قال : فغط حتى ركض برجله ، فقالت : اللهم ، إنه إن يمت يُقَلْ هي قتلته ، قال : فأُرسل ، فقال في الثالثة أو الرابعة : ماأرسلتم إلي إلا شيطاناً ، أرجعوها إلى إبراهيم وأعطوها هاجر ، قال : فرجعت فقالت لإبراهيم : أشعرت أن الله رد كيد الفاجر وأخدم وليدة .

وفي حديث آخر :

أنها لما دخلت عليه وثب إليها فحُبس عنها ، فقال لها : ادعي إلهك الذي تعبدين أن يطلقني ولا أعود فيما تكرهين ، فدعت الله فأطلقه ، ففعل ذلك ثلاثاً ثم قال للذي جاء بها ؛ أخرجها عني ، فإنك لم تأتني بإنسية ، إنما أتيتني بشيطانة ، فأخدمها هاجر ، فرجعت إلى إبراهيم فاستوهبها منها فوهبتها له ، قال : فهي أمكم يابني ماء السماء ، يعني العرب .

قال أبو الحسن[3] المفسّر :

لما أخذ صاحب مصر سارة من إبراهيم الخليل ذهب ليتناولها فأيبس الله يده في عنقه ، فقال لها : يا هذه ، ماأطوع ربك لك حين دعوته علي ، فقالت له : وأنت إن أطعته أطاعك .

---

(١) سورة الصافات ٨٩/٣٧

(٢) سورة الأنبياء ٦٣/٢١

(٣) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

وقيل : إن الحُسْنَ قسم نصفين : نصف ليوسف وسارة ، ونصف بين الناس .

وعن أبي هريرة :

أن إبراهيم لم يولد له ، فكانت سارة لا تلد . فلما رأت سارة ذلك أحبت أن تعرض هاجر على إبراهيم فكان يمنعها غيرتها .

كانت هاجر ذات هيئة ، فوهبتها سارة لإبراهيم ، فقالت : إني أراها وضيئة فخذها لعل الله أن يرزقك منها ولداً ، وكانت سارة قد مُنِعَتِ الولد ، فلم تلد لإبراهيم حتى أيست . وكان إبراهيم قد دعا ربه ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِين ﴾[1] فأخرت الدعوة حتى كبر إبراهيم ، وعُقِمتْ سارة . ثمّ إنّ إبراهيم وقع على هاجر فولدت له إسماعيل .

فلما وُلد إسماعيل اشتد حزنها على ما فاتها من الولد . ولما رأت سارة إبراهيم قد [١٢٣ / أ] شَغِفَ بإسماعيل غارت غيرة شديدة ، وحلفت لتقطعن عضواً من أعضاء هاجر ، قال : فبلغ ذلك هاجر فلبست درعاً لها ، وجرّت ذيلها ، فهي أول نساء العالمين جرت الذيل ، وإنما فعلت ذلك لتعفي أثرها في الطريق على سارة ، فلم تقدر عليها ، فقال لها إبراهيم : هل لك إلى خير ؟ أن تعفي عنها وترضي بقضاء الله ، قالت : وكيف لي بما قد حَلفت ؟ قال : اخفِضيها فتكون سنة للنساء وتبرّي يمينك ، قالت : أفعلها فخفضتها ، فمضت السنة للنساء بالخفض منها .

وقيل : إنها لما غارت منها حلفت أن تقطع منها ثلاثة أشراف[2] . فقال لها إبراهيم : هل لك أن تبري يمينك ؟ قالت : كيف أصنع ؟ قال : اثقبي أذنيها واخفِضيها ـ والخفض هو الختان ـ ففعلت ذلك بها ، فوضعت هاجر في أذنيها قرطين ، فازدادت بها حسناً ، فقالت سارة : أراني إنما زدتها جمالاً فلم تقارّه على كونها معه ، ووجد بها إبراهيم وجداً شديداً ، فنقلها إلى مكة ، وكان يزورها في كل يوم من الشام على البراق من شغفه بها ، وقلة صبره عنها .

قال يحيى بن أبي رافع

في قوله عزّ وجلّ ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ ﴾[3] قال : صيحة . فولولت .

---

(١) سورة الصافات ١٠٠/٣٧

(٢) أشراف الإنسان : أذناه وأنفه . اللسان : شرف .

(٣) سورة الذاريات ٢٩/٥١

ولما ولدت سارة لإبراهيم إسحاق جعل الكنعانيون يقولون : ألا تعجبون لهذا الشيخ ولهذه العجوز ، وجدوا صبياً سقيطاً فأخذاه ، يزعمان أنه ولدهما ، وهل تلد مثلها من النساء ؟ ! فكوّن الله صورةَ إسحاق على صورة إبراهيم حتى لا يراه أحد إلا قال : والله ، إنه لَمِن الشيخ .

جاء جرير إلى عمر فشكا إليه ما يلقى من النساء ، فقال عمر : إنا لنجد ذلك حتى إني لأريد الحاجة فتقول : ماتذهب إلا إلى فتيات بني فلان تنظر إليهن ؟ فقال ابن مسعود : أما بلغك أن إبراهيم شكا إلى الله من رداءة خلق سارة[1] فقال له : إنها خلقت من الضلع ، فالبسها على ما كان فيها ، مالم تر عليها خزية في دينها [١٢٣ / ب] فقال عمر : لقد حشا الله بين أضلاعك علماً كثيراً .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

أولاد المسلمين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة ، فإذا كان يوم القيامة دفعوهم إلى آبائهم .

قال شعيب الجَبَائي[2] :

أُلقي إبراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة ، وذُبح إسحاق وهو ابن تسع سنين ، وولدته سارة وهي ابنة تسعين سنة ، وكان مذبحه من إيلياء على ميلين . فلما علمت سارة بما أراد بإسحاق بطنت يومين وماتت اليوم الثالث ، وقيل : ماتت سارة وهي بنت مئة سنة وسبع وعشرين سنة .

ولما أراد إبراهيم ذبح إسحاق حزنت سارة حزناً شديداً ، ومرضت من شدة الغم ، وكان لإسحاق في ذلك الوقت سبع وثلاثون سنة ، وقيل : تسع سنين ، وكان أصابها البطن ثلاثة أيام .

---

(١) في الأصل « سارية » .

(٢) في الأصل : الجبار .وهو الجَبَائي نسبة إلى جَبَأ ، أو جَبَاء بالمد . جبل بالين . انظر معجم البلدان . والإكمال ٦٥/٣

١٥٣ ـ سَفّانَة بنت حاتم الطائية

أخت عدي بن حاتم ، ويقال عمته ، وإن ثبت أن اسمها سفانة فهي أخته ، أسلمت وحكت عن النبي ﷺ ، وقدمت الشام في طلب أخيها .

عن عدي بن حاتم الطائي قال :

قدم رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة . فلما رأيت ذلك من أمره في علوه ، وأنه تثب سراياه فتغير فلا يقوم لها شيء قلتُ لنفسي : يا نفسُ ، لو أني خلفْت لي أجالاً فإن أغير على النَّعم والغنم كان عندي ماأتحمل عليه ، فخلفت عندي من الإبل ماأعلم أنه يحملني إن بُليت ببلوى . فبينا أنا ذات يوم إذ جاءني راعي الإبل بعصاه ، فقلت له : ماوراءك ؟ قال : قد أُغير على النعم ، فقلت : ومن أغار عليها ؟ قال : خيل محمد ، قلت : يا نفس ، هذا الذي كنت أحاذر ، فأين الفرار ؟ فقربت أجمالي وحملت أهلي لألحو بهم ، وكنت نصرانياً ، فدخلت على عمتي ، فقلت : ماعسى أن تصنع بمثل هذه وقد كبرت ، فحملت امرأتي ، فقالت لي عمتي : يا عدي ، أما تتقي ربك ، تنجو بامرأتك وتدع عمتك ! فقلت لها : وما عسى أن نصنع بك وأنت امرأة قد كبرت ، فمضيت ولم ألتفت إلى عمتي ، حتى وردتْ [١٢٤ / أ] الشام ، فانتهيت إلى قيصر ، وكان بأرض حمص فأُدخلت عليه ، فقلت له : إني رجل من العرب وأنا على دينك ، وهذا الرجل قد تناولنا ببلدنا ، فكان المفر منه إليك ، فقال لي قيصر : اذهب فانزل بمكان كذا وكذا حتى نرى لك رأياً في أمره ، فنزلت بذلك المكان ، فمكثت به حيناً ، فإني في بعض أيامي بهمٍّ وغمٍّ فإذا أنا بظعينة متوجهة نحونا . فلما انتهت إليَّ نظرت فإذا هي عمتي . فلما رأتني ابتدرتني فقالت لي : يا عدي ، أما اتقيت ربّك ، نجوتَ بامرأتك مما تحاذره وتركتَ عمتك . وذكر الحديث .

قال عبد الله بن أبي بكر بن حزم لموسى بن عمران بن منّاح[1] وهما جالسان بالبقيع :

تعرف سرية الفلس[2] ؟ قال موسى : ماسمعت بهذه السرية . قال : فضحك ابن حزم ثم قال : بعث رسول الله ﷺ علياً في خمسين ومئة رجل على مئة بعير وخمسين فرساً ، وليس

---

(١) في الأصل : مناخ . وانظر الإكمال ٣٠٧/٧

(٢) الفلس : قيل هو بضم الفاء واللام ، وقيل بفتح الفاء وسكون اللام ، وقيل : فِلْس ، بكسر الفاء . وهو صنم لطيئ وكان بنجد قريباً من فيد . انظر معجم البلدان والقاموس : فلس .

في السريـة إلا أنصـاري ، فيهـا وجوه الأوس والخزرج ، فـاجتنبوا الخيـل ، واعتقبـوا[1] على الإبل حتى أغاروا على أحياء من أحياء العرب ، وسأل عن محلّة آل حاتم فـدلّ عليهـا ، فشنّوا الغارة مع الفجر . فسَبَوا حتى ملؤوا أيديهم من السَّبْي والنَّعَم والشاء ، وهدم الفلس وخرّبه ، وكان صنماً لطيِّئ ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة .

قـالوا : وإن عليـاً عليـه السلام ، خرج ومعـه رايـة سوداء ولـواء أبيض ، معهم القنـا والسـلاح الظـاهر ، وقـد دفـع رايتـه إلى سهـل بن حُنَيْف ، ولـواءه إلى جَبّـار بن صخر السُّلَمي ، وخرج بـدليـل من بني أسـد يقـال لـه حُرَيث خِرِّيتـاً[2] فسلـك بهم على طريـق فَيْد[3] . فلما انتهى بهم إلى موضع قال : إنّ بينكم وبين الحي الذي تريدون يوماً تامـاً ، وإن سرناه بالنهار وطئنا أطرافهم ورعاءهم ، فـأنـذروا الحي فتفرقوا . فلم تصيبوا منهم حـاجتكم ، ولكن نُقيم يومنـا هـذا في موضعنـا حتى نمسي ، ثم نعتشي[4] ليلتنـا على متون الخيل فنجعلها غـارة حتى نصبّحهم في عمـايـة الصبـح . قـالـوا : هـذا الرأي ، فعسكروا وسرّحـوا إبلهم واصطنعوا ، وبعثوا نفراً منهم يتقصّون ماحولهم ، فبعثوا أبا قتـادة والحُبـاب بن المنـذر وأبـا نائلة [١٢٤ / ب] فخرجوا على متون خيلهم يطوفون حول المعسكر ، فأصابوا غلامـاً أسود فقالوا : ماأنت ؟ قال : أطلب بغيتي ، فأتوا به علياً ، فقال : ماأنت ؟ قال : باغٍ ، قـال : فشدّوا عليه فقال : أنا غلام لرجل من طيِّئ من بني نَبْهـان ، أقرّوني بهـذا الموضع ، وقـالوا : إن رأيتَ خيلَ محمدٍ فَطِرْ إلينـا فـأخبرنـا . وأنـا لاأدرك شـدّاً . فلمـا رأيتكم أردت الـذهـاب إليهم ، ثم قلت : لاأعجـل حتى آتي أصحـابي بخبر بيّنٍ من عـددكم وعـدد خيلكم وركابكم ، ولا أخشى ماأصابني ، فلكأني كنت مُقَيّداً حتى أخذتني طلائعكم .

قـال عليٌّ : اصـدُقْنـا مـاوراءك ؟ قـال : أوائل الحي على مسيرة ليلـة طَرّادة تصبحهم الخيل في مغارّهم خَبَباً وعدواً ، قال علي لأصحابه : مـاترون ؟ قـال جَبّـار بن صخر : نرى أن ننطلـق على متـون الخيـل ليلتنـا حتى نصبّـح القـوم وهم غـارّون[5] فنغير عليهم ، ونخرج

---

(١) أي تعاقبوا في الركوب واحداً بعد واحد . النهاية .

(٢) الخِرِّيت : الدليل الحاذق بالدلالة ، اللسان : خرت .

(٣) فيد : بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة . معجم البلدان .

(٤) اعتشى : سار وقت العشاء . اللسان : عشا .

(٥) أي غافلون . النهاية .

بالعبد الأسود دليلاً ونخلّف حَرَيثاً مع العسكر حتى يلحقونا ، إن شاء الله ، قال علي : هذا الرأي .

فخرجوا بالعبد الأسود والخيل تَعادى ، وهو ردف بعضهم عُقْبَةً[1] ، ثم ينزل فيردف آخر عُقْبَةً ، وهو مكتوف . فلما ابهارّ الليل كذب العبد ، وقال : قد أخطأت الطريق وتركتها ورائي ، فقال علي : فارجع بنا إلى حيث أخطأت ، فرجع ميلاً أو أكثر ثم قال : أنا على خطأ ، فقال علي : أنا منك على خُدْعة ، ماتريد إلا أن تُتَيّهنا عن الحي قَدّموه ، لتصدقنا أو لَنضربنّ عنقك ، قال : فقُدّم وسُلّ السيف على رأسه . فلما رأى الشر قال : أرأيت إن صدقتكم أينفعني ؟ قالوا : نعم ، قال : فإني صنعتُ مارأيتم ، إنه أدركني مايدرك الناسَ من الحياء ، فقلت : أقبلتُ بالقوم أدلّهم على الحي من غير محنة ، ولا خوف منهم . فلما رأيت منكم ما رأيت ، وخفتُ أن تقتلوني كان لي عُذْرٌ ، فأنا أحملكم على الطريق ، قالوا : اصدُقْنا ، قال : القوم منكم قريب . فخرج بهم حتى انتهوا إلى أدنى الحيّ ، فسمعوا نباح الكلاب وحركة النَّعم في المراح والشاء ، فقال : هذه الأصرام[2] وهي [على] فرسخ فنظر بعضهم إلى بعض ، قالوا : فأين آل حاتم ؟ قال : هم متوسطو الأصرام [١٢٥ / أ] قال القوم بعضهم لبعض : إن أفْزَعْنا الحي تصايحوا وأفزع بعضهم بعضاً ، فيغيب عنا إخوانهم[3] في سواد الليل ، ولكن نمهل حتى يطلع الفجر معترضاً ، فقد قرب طلوعه فنغير ، فإن أنذر بعضهم بعضاً لم يخف علينا أين أخذوا ، وليس عند القوم خيل يهربون عليها ، ونحن على متون الخيل ، قالوا : الرأي ماأشرتَ به .

فلما اعترض الفجر أغاروا عليهم ، فقتلوا مَنْ أشرف ، واستاقوا الذرّية والنساء ، وجمعوا النَّعَم والشاء ، ولم يخفَ عليهم أحد تغيّب ، فملؤوا أيديهم . قال : تقول جارية من الحي ، وهي ترى العبد الأسود ، وكان اسمه أسلم ، وهو موثق ، [4]مالك هبل[4] ، هذا عمل رسولكم أسلم ، لاسَلِمَ ، هو جلبهم عليكم ، ودلّهم على عورتكم . قال : يقول الأسود : أقصري يا بنة الأكارم ، مادللتهم حتى قُدّمتُ ليضرب عنقي . قال : فعسكر القوم ، وعزلوا

---

(١) عقبة : شوطاً ، النهاية : عقب .

(٢) الأصرام : جمع الصُّرْم وهي الجماعة ينزلون بإبلهم ناحية على ماء . النهاية .

(٣) في المغازي ٩٨٦/٣ : أحزابهم .

(٤-٤) مابين الرقمين مستدرك في هامش الأصل . وبعده « صح » .

الأسرى ، وعزلوا الذرية ، وأصابوا آل حاتم : أخت عدي ونُسَيّاتٍ معها ، فعزلوهن على حدة ، فقال أسلم لعليّ : ماتنتظر بإطلاقي ؟ فقال : تشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قال : أنا على دين قومي ، هؤلاء الأسرى ، ماصنعوا صنعت ، قال : ألا تراهم موثّقين ، فنجعلك معهم في رباطك ؟ قال : نعم ، أنا مع هؤلاء موثقاً أحبُّ إليَّ من أن أكون مع غيرهم مطلقاً ، يصيبني ماأصابهم ، فضحك أهل السرية منه ، فأوثق وطرح مع الأسرى ، وقال : أنا معهم حتى تروا فيهم ماأنتم راؤون ، فقائل يقول له من الأسرى : لامرحباً بك أنت جئتنا بهم ، وقائل يقول : مرحباً بك وأهلاً ، ماكان عليك أكثر مما صنعت ، لو أصابنا الذي أصابك لفعلنا الذي فعلت ، وأشد منه ، ثم قد آسَيْتَ بنفسك .

وجاء العسكر فاجتمعوا فقرّبوا الأسرى ، فعرضوا عليهم الإسلام ، فمن أسلم تُرك ، ومن أبى ضربت عنقه ، حتى أتوا على العبد الأسود ، فعرضوا عليه الإسلام ، فقال : إن الجزع من السيف للؤمٌ ، وما من خلود ، قال : يقول رجل من الحي ممن أسلم : يا عجباً منك ألا كان هذا حيث أُخذت . فلما قتل مَنْ قتل منا [١٢٥ / ب] ، وسُبي من سبي منا ، وأسلم مَنْ أسلم راغباً في الإسلام ، تقول ماتقول ! ويحك ، أسلم واتبع دين محمد . قال : فإني أُسلم وأتبع دين محمد ، فأسلم . فتُرك ، وبقي بعد ذلك حتى كانت الردة ، فشهد مع خالد بن الوليد اليمامة ، فأبلى بلاء حسناً .

قال : وسار علي [إلى] الفلس فهدمه وخرّبه ، ووجدوا في بيته ثلاثة أسياف : رَسوب والمِخْذَم ، وسيف يقال له اليماني ، وثلاثة أدرع ، وجَرّدُوه ، وكان عليه ثياب يُلبسونه [إياها][1] وجمعوا السبيَ فاستعمل عليّ عليهم أبا قتادة ، واستعمل عبد الله بن عتيك السُّلمي على الماشية والرِّثة[2] ، ثم ساروا حتى نزلوا ركك[3] فاقتسموا السبي والغنائم ، وعزل للنبيّ ﷺ صفياً[4] رسوباً والمِخذم ، ثم صار له بعدُ السيفُ الآخر ، وعزل الخمس ، وعزل آل حاتم ، فلم يقسمهم حتى قدم بهم المدينة .

قالوا : وكان في السبي أخت عدي بن حاتم لم تُقْسَم ، فأنزلت دار رملة بنت

(١) ليست في الأصل واستدركت من المغازي ٩٨٨/٣ للسياق .

(٢) الرثة : ضعاف الناس . اللسان : رثث .

(٣) في الأصل : « رحكا » . وركك : محلة من محالّ سلمى ، أحد جبلي طيئ . معجم البلدان .

(٤) الصفيّ : ماكان يأخذه رئيس الجيش ويختاره لنفسه من الغنيمة قبل القسمة . النهاية .

الحدث[1] ، وكان عدي بن حاتم قد هرب حين سمع بحركة عليّ ، وكان له عين بالمدينة فحذّره ، فخرج إلى الشام ، وكانت أخت عدي إذا مرّ النبي ﷺ تقول : يا رسول الله ، هلك الوالد وغاب الوافد ، فامنُنْ علينا مَنّ الله عليك ، كل ذلك يسألها رسول الله ﷺ : مَنْ وافدك ؟ فتقول : عدي بن حاتم ، فيقول : إلفارُّ من الله ورسوله ؟ حتى يئستْ . فلما كان يوم الرابع مرّ النبي ﷺ فلم تكلم فأشار إليها رجل : قومي فكلميه ، فكلمته ، فأذن لها ووصلها ، وسألت عن الرجل الذي أشار إليها فقيل : علي ، وهو الذي سباكم أما تعرفينه ؟ فقالت : لا والله ، مازلت مُدْنِيَةً طرفَ ثوبي على وجهي وطرفَ ردائي على بُرقعي من يوم أُسرتُ حتى دخلتُ هذه الدار ، ولا رأيتُ وجهه ولا وجه أحد من أصحابه .

وفي حديث آخر بمعناه

أنها لما كلمته وقالت : فامنن عليّ مَنّ الله عليك ، قال : قد فعلت ، لاتعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة يبلغك إلى بلادك ثم آذنيني ، قالت : وأقمت حتى قدم نفر من بليّ أو قضاعة ، وأنا أريد أن آتي الشام ، قالت : فجئت [١٢٦ / أ] رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، قد قدم رجال من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ ، قالت : فكساني رسول الله ﷺ وحملني وأعطاني نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

قال أبو عامر :

وكانت قد أسلمت وحسن إسلامها .

قال عدي : وإني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى ظعينة تؤمنا ، قال : قلت : ابنة حاتم ، فإذا هي هيه . فلما وقفت علي [انسحلت][2] : القاطع الظالم ارتحلت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك أختك وعورتك ؟ قال : قلت : يا خيَّة ، لاتقولي إلا خيراً ، فوالله ما لي من عذر ، ولقد صنعت ماذكرت . قال : ثم نزلت فأقامتْ عندي . قال : فقلت لها ـ وكانت امرأة حازمة ـ : ماذا ترين في أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكاً فلن تذل في عزّ اليمن وأنت أنت . قال : قلتُ : والله إن هذا الرأي . قال : فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلت عليه وهو في

---

(١) كذا في الأصل . وفي المغازي ٩٨٦/٣ رملة بنت الحارث وانظر الإصابة ٣٠٥/٤ حيث أجاز الوجهين .

(٢) مكان اللفظة في الأصل بياض . وقد أشير إلى ذلك بحرف « ط » في الهامش . وأثبتنا رواية سيرة ابن هشام ٢٢٦/٤ ، وانسحل بالكلام : جرى به . اللسان : سحل .

مسجده ، فسلّمتُ عليه ، فقال : مَن الرجل ؟ قال : قلت : عدي بن حاتم ، فرحّب به النبي ﷺ وقربه وكان يتألف شريف القوم ليتألف به قومه . قالوا : فقام رسول الله ﷺ فانطلق به إلى بيته قال : فلقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها . قال : قلت في نفسي : ماهذا بملك ، قال : ثم مضى حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقدمها إلي ، فقال : اجلس على هذه . قال : قلت : بل أنت فاجلس . قال : فقال : بل أنت فاجلس عليها . قال : فجلست عليها ، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض . قال : قلت في نفسي : ماهذا بأمر ملك .

قال أبو عامر في حديثه :

فدخل الإسلام في قلبي ، وأحببت رسول الله ﷺ حباً لم أحببه شيئاً قط ـ وقال في أوائل هذا الحديث : إن عدياً قال : مارجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله [١٢٦ / ب] ﷺ حين سمع به مني[١] ـ قال : ولم يكن في البيت إلا خصاف[٢] ووسادة أدم ، قال : فلم يجلس عليها ، ولم أجلس عليها ، ثم أقبل عليّ فقال : هيه يا عدي بن حاتم ، أفررت أن توحد الله ، وهل من أحد غير الله ، هيه يا عدي بن حاتم ، أفررت أن تكبر الله ، ومن أكبر من الله ، هيه يا عدي بن حاتم أفررت أن تعظّم الله ، ومن أعظم من الله ، هيه يا عدي بن حاتم أفررت أن تشهد أن لاإله إلا الله ، وهل من إله غير الله ، هيه يا عدي بن حاتم أفررت أن تشهد أن محمداً رسول الله . قال : فجعل رسول الله ﷺ يقول نحو هذا . وأنا أبكي . قال : ثم أسلمت .

قال ابن إسحاق في حديثه :

ثم قال : إيه يا عدي بن حاتم ألم تك رَكوسيّاً[٣] ؟ قال : قلت : بلى ، قال : [أولم تكن تسير في قومك بالمِرباع ؟ قال : قلت : بلى . قال :][٤] فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك ، قال : قلت : أجل والله ، وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجْهَل .قال : ثم قال : لعلّه يا عدي بن حاتم إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ماترى من حاجتهم ، فوالله لأوشك أن يفيض فيهم

---

(١) في الأصل : منه . وأثبتنا رواية ابن عساكر .

(٢) الخصاف : ج خَصَفة : جلة التمر التي تعمل من الخوص . اللسان : خصف .

(٣) الركوسيّة : قوم لهم دين بين النصارى والصابئين . اللسان : ركس .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من السيرة : ٢٢٧/٤ لتمام المعنى .

يعني المال ـ حتى لا يوجد مَنْ يأخذه ، ولعله أن يمنعك من ذلك ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور البيت لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وايم الله ليوشكنّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم ، قال : فأسلمت ، فكان عدي يقول : مضت اثنتان ، وبقيت الثالثة ، ووالله لتكونن . لقد رأيت القصور البيض من أرض بابل ، وقد فتحت عليهم ، ورأيت المرأة تخرج على بعيرها ، لا تخاف إلا الله حتى تحجّ هذا البيت من القادسية ، وايم الله لتكوننّ الثالثة : ليفيضنّ المال حتى لا يوجد مَنْ يأخذه .

وعن علي بن أبي طالب أنه قال :

يا سبحان الله ، ما أزهد كثيراً من الناس في الخير ، عجبت لرجل يجيئه أخوه المسلم في حاجة لا يرى نفسه للخير أهلاً ، فلو كنا لا نرجو جنة ولا نخشى ناراً [١٢٧ / أ] ولا ثواباً ولا عقاباً لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فإنها تدلّ على سبل النجاح ، فقام رجل فقال : فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين ، سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، وما هو خير منه ، لما أتينا سبايا طيّئ وقعت جارية جَمّاء[1] ، حواء ، لعساء ، لمياء ، عيطاء ، شماء الأنف ، معتدلة القامة ، درماء الكعبين ، جدلة الساقين ، لفّاء العجزين ، خميصة الخصرين ، مصقولة المتنين ، ضامرة الكشحين . فلما رأيتها أعجبت بها ، فقلت : لأطلبنّ إلى رسول الله ﷺ أن يجعلها من فيئي . فلما تكلمت نسيت جمالها لما رأيت من فصاحتها ، فقالت : يا محمد ، إن رأيت أن تخلي عني فلا تشمت بي أحياء العرب ، فإني ابنة سيد قومي ، وإن أبي كان يفكّ العاني ، ويحمي الذمار ، ويقري الضيف ، ويشبع الجائع ، ويفرج عن المكروب ، ويفشي السلام ، ويطعم الطعام ، ولم يردّ طالبَ حاجة قط ، أنا ابنة حاتم طيّئ . قال النبي ﷺ : يا جارية ، هذه صفة المؤمن حقاً ، لو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه ، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق ، فقام أبو بردة بن نيار ، فقال : يا رسول الله ، الله يحب مكارم الأخلاق ؟ فقال : يا أبا بردة ، لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق .

---

(١) امرأة جَمّاء : كثيرة شعر الرأس . والحوّاء ذات الشعر الأسود أو ذات الشفة السوداء . ولعساء في لونها أدنى سواد مشربة من الحمرة . واللمياء في شفتها سمرة أو شربة سواد فيها . والعيطاء طويلة العنق . ودرماء الكعب أو العظم إذا وارى اللحم حتى لم يبن له حجم . جدلة الساقين : ممتلئة لحماً .

١٥٤ ـ سكينة واسمها أميمة

ويقال : أمينة ، ويقال : آمنة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب

قدمت دمشق مع أهل بيتها بعد قتل أبيها ، ثم خرجت إلى المدينة ، ويقال إنها عادت إلى دمشق بعد ذلك وإن قبرها بها .

حدثت سكينة عن أبيها قال : قال رسول الله ﷺ :

حملة القرآن عرفاء أهل الجنة يوم القيامة .

كان اسمها آمنة . وسكينة لقب لقبتها به أمها الرباب بنت امرئ القيس ، وكانت سكينة من [١٢٧ / ب] أجلد نساء قريش ، دخلت على هشام في قواعد نساء قريش فسلبته منطقته ومطرفه وعمامته ، وقال لها هشام لما طلبت ذلك منه : أو غيره ؟ تقول : ماأريد غيره ، وكان هشام يعتم ويلبس ، فسلبته ذلك كله ودعا بثياب غيرها فلبسها ، وكانت إذا لعن مروان جدّها علياً عليه السلام لعنته وأباه وأبا أبيه ، وكانت من أجمل الناس .

عن ابن شهاب قال :

نكحت سكينة ابنة الحسين إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف بغير ولي ، فكتب عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل أن فرّق بينهما .

وعنه أنه قال في المرأة تنكح نفسها بغير إذن وليها قال :

زوجت سكينة بنت حسين نفسها إبراهيمَ بن عبد الرحمن بن عوف ، فكتب فيها هشام بن إسماعيل إلى عبد الملك بن مروان [1] فكتب عبد الملك[1] أن يفرق بينهما ، فإن كان دخل بها فلها صداقها بما استحلّ منها ، وإن لم يكن دخل بها خطبها مع الخطاب .

ذكر الحافظ ابن عساكر في كتابه حكايات جرت لها مع الشعراء أكبرتُ قدرها عن ذكر مثلها عنها .

توفيت سكينة سنة سبع عشرة ومئة بالمدينة .

(١ـ١) مابين الرقين في هامش الأصل . وبعده : « صح » .

١٥٥ ـ سُكينة زوج أبي الحسين

زيد بن عبد الله بن محمد البَلُّوطي

حدث أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الجِنّائي قال :

وجدت للحفظ في كتاب سكينة زَوج الشيخ أبي الحسين البَلُّوطي رحمه الله : يقرأ فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، وآية الكرسي ، ويقرأ : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى ﴾[1] ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه فَإِذا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيَانَه ﴾ ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيْدُ القُوى ﴾ ﴿ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ ﴾ ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ البَيَان ﴾ ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيد في لَوْحٍ مَحْفُوظ ﴾ ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ورتّلْنَاهُ تَرْتِيْلاً ﴾ ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ويَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيْراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي [١٢٨ / أ] اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيْراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيْراً إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْراً قَالَ قَدْ أُوتِيْتَ سُؤْلَكَ يَا مُوْسى ﴾ .

١٥٦ ـ سلمى بنت سعيد بن خالد

ابن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أميّة ، أم سلمة

زوج هشام بن عبد الملك ، ثم خلف عليها الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وهي التي حلف بطلاقها قبل دخوله بها ، واستفتى فقهاء المدينة ليفتوه في أمرها ، وكانت عنده أختها[2] لأبيها وأمها أم عبد الملك سعدة بنت سعيد بن خالد .

عن صدقة بن عبد الله الدمشقي قال :

جئت محمد بن المنكدر وأنا مغضب فقلت : آلله ، أنت أحللت للوليد بن يزيد أمّ سلمة ؟ قال : أنا ! ولكن رسول الله ﷺ ، حدثني جابر بن عبد الله الأنصاري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : لاطلاق لمن[3] لا يملك ولا عتق لمن[3] لا يملك .

---

(١) تخريج الآيات على النحو التالي : سورة الأعلى ٦/٨٧ ، سورة القيامة ١٧/٧٥ ـ ١٩ ، سورة النجم ٥/٥٣ ، سورة العلق ٥/٩٦ ، سورة الرحمن ١/٥٥ ـ ٤ ، سورة البروج ٢١/٨٥ ، سورة الفرقان ٣٢/٢٥ ، سورة الأنبياء ٧٩/٢١ ، سورة طه ٢٥/٢٠ ـ ٣٦

(٢) في الأصل : أخته ، وهو تصحيف .

(٣) في الأصل « لما » في الموضعين ، وأثبتنا رواية السنن الكبرى للبيهقي ٣١٩/٧

وروي

أن هشام بن عبد الملك أرسل[1] إلى سعيد بن خالد ينهاه عن تزويج الوليد بن يزيد ، ويقول له : أتريد أن تتخذ الوليد فحلاً ؟ فلم يزوّجه إياها . فلما امتنع من تزويجه أنف وحلف بطلاقها إن تزوجها .

وقيل :

إنه لم يتزوجها لسبب آخر ، وهو أنه دخل دار أبيها يوم مات وهي بدمشق ، وكانت تحته أختها أم عبد الملك بنت سعيد ، فخرجت في ثياب مسفرة ، فقالت له ، وهي لاتعرفه : ويلك مات أبي ؟ فوقعت في نفسه ، فطلق أختها وخطبها ، فلم يزوجوه إياها .

والله أعلم بالصحيح من القولين .

كان الوليد بن يزيد قال : يوم أتزوج سلمى بنت سعيد بن خالد فهي طالق .

قالوا : وكتب الوليد بن يزيد إلى أمراء الأمصار أن يكتبوا إليه بالطلاق قبل النكاح - وكان قد ابتلي بذلك - فكتب إلى عامله باليمن فدعا ابن طاوس وإسماعيل بن شروس وسماك بن الفضل فأخبرهم ابن طاوس عن أبيه [١٢٨ / ب] وإسماعيل بن شروس عن عطاء بن أبي رباح وسماك عن وهب بن منبّه أنهم قالوا : لا طلاق قبل النكاح . ثم قال سماك من عنده : إن النكاح عقدة تعقد ، والطلاق يحلها ، فكيف تُحَل عقدة قبل أن تعقد ؟ فأعجب الوليد من قوله وأخذ به وكتب إلى عامله على اليمن أن يستعمله على القضاء .

وقال الوليد في سلمى أشعاراً كثيرة فمنها : [من الوافر]

ألا ليتَ الإلـــهَ يجي بسلمى ... كذاكَ اللهُ يَفْعَلُ ما يشاءُ
فيخرجُها فيطرحُها بأرضٍ ... فيُرقدها وقد سقطَ الرداءُ
ويأتي بي فيطرحني عليها ... فيوقظُها وقد قُضيَ القضاءُ
ويرسلُ ديمةً سحّاً علينا ... فتغسلنا ولا يبقى عناءُ

---

(١) الأصل : « أرسل إلى الوليد سعيد بن خالد » . وقد أشير إلى هذا الخطأ بحرف « ط » في الهامش . وانظر الأغاني ٢٦/٧

١٥٧ ـ سلاّمة

جارية شاعرة ، كانت ليزيد بن معاوية ، من مولّدات المدينة ، كان الأحوص يشبب بها .

قال أبو محمد الجزري :

كانت بالمدينة جارية مغنيّة ، يقال لها : سلامة ، من أحسن النساء وجهاً ، وأتمهن عقلاً ، وأحسنهن حديثاً ، وقد قرأت القرآن ، وروت الشعر وقالته . وكان عبد الرحمن بن حسان والأحوص يجلسان فيرويانها الشعر ، ويناشدانها إياه ، فعلقت الأحوص ، وصدت عن عبد الرحمن ، فقال لها عبد الرحمن يعرّض لها بما ظنه من ذلك : [الوافر]

أرى الإقبالَ منكِ على جليسي ... وما لي في حديثكما نَصيبُ

فأجابته :

لأنّ اللهَ علّقَه فؤادي ... فحاز الحبُّ دونكما الحبيبُ

فقال الأحوص :

خليلي لاتلُمها في هواها ... ألذّ العيشِ ما تهوى القلوبُ

قال : فأضرب عنها ابن حسان ، وخرج ممتدحاً ليزيد بن معاوية ، فأكرمه وأعطاه . فلما انصرف قال : يا أمير المؤمنين ، عندي نصيحة ، قال : وما هي ؟ قال : جارية بالمدينة لامرأة [١٢٩ / أ] من قريش من أجمل الناس وأكملهم ولا تصلح أن تكون إلا لأمير المؤمنين وفي سمّاره ، فأرسل إليها يزيد فاشتُريت له وحُملت إليه فوقعت منه موقعاً عظيماً ، وفضّلها على جميع من عنده ، وقدم عبد الرحمن المدينة فمر بالأحوص وهو على باب داره مهموم ، فأراد أن يزيده على مابه فقال : [من السريع]

يا مُبتلى بالحبّ مفدوحا ... لاقى من الحبّ تباريحا

أفحمه الحب فما ينثني ... إلا بكأسِ الحبّ مصبوحا

وصـــار مـــا يعجبـــه مغلقـــاً عنـــه ومـــا يكره مفتـوحـــا
قـد حـازهـا مَنْ أصبحتْ عنـدَه يتـــالُ منهـــا الشمّ والريحـــا
خليفـــةُ اللهِ فسَـــلْ الهـــوى وعَـزّ قلبـاً منـــكَ مجروحـــا

فأمسك الأحوص عن جوابه . ثم إن شـابين من بني أميـة أرادا الوفـادة إلى يزيـد ، فـأتـاهـا الأحوص ، فسألهما أن يحملا له كتاباً ، ففعلا وكتب إليها معهما : [من الكامل]

ســـلامُ ذكركِ ملصـــقٌ بلســـاني وعلى هـــواكِ تعـــودني أحـــزاني
مـــا لي رأيتُـــكِ في المنـــامِ مطيعـــةً وإذا انتبهتُ لججتِ في العصيـــانِ ؟

ثم غلبه جزعه ، فخرج إلى يزيد ممتدحاً له ، فقرّبه وأكرمه ، وبلغ لديـه كل مبلغ ، فـدسّت إليه سلامة خادماً ، وأعطته مالاً على أن يدخله إليها ، فأخبر الخادم يزيد بذلـك ، فقـال : إمض لرسالتها ، ففعل ماأمره ، وأدخل الأحوص ، وجلس يزيد بحيث يراهما . فلمـا بصرت الجارية بالأحوص بكت إليه وبكى إليها ، وأمرت فألقي له كرسي فقعـد عليـه ، وجعل كل واحد منهما يشكو إلى صاحبه شـدة الشوق ، فلم يزالا يتحـدثـان إلى السحر ، ويزيـد يسمع كلامهما ، من غير أن يكون بينهما ريبة حتى إذا همّ بالخروج قال : [من البسيط]

أمسى فـــؤاديَ في همٍّ وبلبـــــالِ من حبِّ مَنْ لم أَزَلْ منـــه على بـــالِ

[١٢٩ / ب] فقالت :

صحـا المحبّونَ بعـدَ النـأي إذ يئسُـوا وقـد يئستُ ومـا أصحـو على حـالِ

فقال :

من كانَ يسلـو بيـأسٍ عن أخي ثقـةٍ فعنـكِ سـلاّمٌ مـا أمسيتُ بـالسـالي

فقالت :

واللهِ واللهِ لا أنســـاك يســـا شجني حتى تفـــارقَ مني الروحُ أوصـــالي

فقال :

واللهِ مـا خـابَ مَنْ أمسى وأنتِ لَـهُ يـــا قرّةَ العينِ في أهـــلٍ وفي مـــالِ

ثم ودعها وخرج ، فأخذه يزيد ودعا بها فقال : أخبراني عما كان في ليلتكما ، واصدقاني ، فأخبراه ، وأنشداه ماقالا ، فقال له يزيد : أتحبها ؟ قال : إي والله يا أمير المؤمنين : [من البسيط]

حباً شديداً تليداً غيرَ مطرّفٍ بين الجوانحِ مثلَ النارِ تضطرمُ

ثم قال لها : أتحبينه ؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين :

حباً شديداً جرى كالروحِ في جسدي فهل تفرّقُ بين الروحِ والجسدِ

فقال يزيد : إنكما لتصفان حباً شديداً ، خذها يا أحوص فهي لك . ووصله صلة سنية فأخذها وانصرف إلى الحجاز ، وهو من أقرّ الناس عيناً .

١٥٨ ـ سلامة أم المنصور

قال طيفور مولى أمير المؤمنين : حدثتني سلامة أم أمير المؤمنين قالت :

لما حملتُ بأبي جعفر رأيتُ كأنّه خرج من فرجي أسد فزأر ثم أقعى فاجتمعت حوله الأُسد ، فكلما انتهى إليه منها أسد سجد له .

١٥٩ ـ سلامة أم سلام المعروفة بسلامة القس

إحدى جاريتي يزيد بن عبد الملك اللتين انتشر ذكرهما ، واشتهر حبه لهما ، كانت قبل يزيد لسهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، وكانت من مولدات المدينة ، وكانت أحسن الناس غناء في زمانها ، والقس هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار .

اشتراها يزيد بثلاثة آلاف دينار فأعجب بها . وفيها يقول ابن قيس الرُّقيات : [من الطويل]

لقد فتنتْ ريّا وسلامةُ القسَّا فلم تتركا للقسّ عقلاً ولا نفسا[1]

[١٣٠ / أ] كان القس عند أهل مكة من أحسنهم عبادة وأظهرهم تبتلاً ـ قالوا : وكان

---

(١) الديوان ص ٣٣

يُقدَّم على عطاء في النسك ـ وأنه مرَّ يوماً بسلامة ، جارية كانت لرجل من قريش ، وهي التي اشتراها يزيد بن عبد الملك ، فسمع غناءها فوقف يستمع فرآه مولاها ، فدنا منه فقال : هل لك أن تدخل فتسمع فتأبى عليه ، فلم يزل به حتى تسمَّح ، وقال : أقعدني في موضع لا أراها ولا تراني ، قال : أفعل ، فدخل فتغنت فأعجبته ، فقال مولاها : هل لك أن أحولها إليك فتأبى ثم تسمَّح ، فلم يزل يسمع غناءها حتى شغف بها وشغفت به ، وعلم ذلك أهل مكة . فقالت له يوماً : أنا والله أحبك ، قال : وأنا والله أحبك ، قالت : وأحب أن أضع فمي على فمك ، قال : وأنا والله ، قالت : وأحب أن ألصق صدري بصدرك وبطني ببطنك ، قال : وأنا والله ، قالت : فما يمنعك فوالله إن الموضع لخال ؟ قال : إني سمعت الله يقول : ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾[1] وأنا أكره أن تكون خلة مابيني وبينك تؤول بنا إلى عداوةٍ يومَ القيامة ، قالت : يا هذا ، أتحسب أن ربي وربك لا يقبلنا إن نحن تبنا إليه ؟ قال : بلى ، ولكن لآمن أن أفاجأ ، ثم نهض ، وعيناه تذرفان ، فلم يرجع وعاد إلى ما كان عليه من النسك .

قالوا : كانت بالمدينة جارية لآل أبي رمانة أو لآل تفاحة ، يقال لها سلامة ، فكتب فيها يزيد بن عبد الملك لتُشْتَرى له ، فاشتُريت بعشرين ألف دينار ، فقال أهلها : ليس تخرج حتى تصلح من شأنها ، فقالت الرسل : لا حاجة لكم بذلك ، معنا ما يصلحها ، فخرج بها حتى أُتي بها سقاية سليمان فأنزلها رسله ، فقالت : لا والله ، لا أخرج حتى يأتيني قوم كانوا يدخلون عليّ فأسلم عليهم ، قال : فامتلأت رحبة ذلك الموضع ، ثم خرجت فوقفت بين الناس وهي تقول : [من الخفيف]

فارقوني وقد علمتُ يقيناً ... ما لِمَن ذاقَ ميتةً من إياب
[١٣٠ /ب] إنّ أهلَ الحِصاب[2] قد تركوني ... موزَّعاً مُولعاً بأهل الحِصاب[2]
أهلُ بيتٍ تبايعوا للمنايا ... ما على الدهرِ بعدهم من عتاب

فما زالت تبكي ويبكون حتى راحت ، ثم أرسلت إليهم ثلاثة آلاف درهم .

---

(١) سورة الزخرف ٦٧/٤٣

(٢) في الأصل (القباب) واستدركت الخضاب في الموضعين ، وهي رواية ثانية ، والمثبت من معجم البلدان ، والأبيات منسوبة به إلى كثير بن كثير بن الصلت . والحصاب بالكسر موضع رمي الجمار بمنى .

بينما الناس ينتظرون أن يخرج يزيد بن عبد الملك حين مات إذ خرج بسريره ، بين يدي عُوْدَيْهِ سلامة تقول[1] : [من مجزوء الرمل]

لاتلُمْنـــا إن جـــزِعْنـــا ... أو همنـــا بجـــزوع
كلمـــا أبصرتُ رَبعـــاً ... خـــالياً فـــاضَتْ دُمـوعي
خـــالياً من سيّـــدٍ كا ... ن لنـــا غيرَ مضيـــعِ
قـــد لعمري بتُّ ليلي ... كأخي الـــداء الـــوجيـــعِ
للـــذي حَـــلَّ بنـــا الـ ... ـيـــومَ منَ الأمرِ الفظيـــعِ

١٦٠ ـ سيدة بنت عبد الله بن مرحوم

أم الحسين الطرسوسية الماجدية

حدثت عن أبي بكر الدينوري بسنده[2] عن أبي سعيد الخراز قال :

أكبر ذنبي إليه معرفتي به .

وحدثت بسندها عن أبي بكر الدقّي قال : سمعت الزّقاق يقول :

لي سبعون سنة أَرِبٌ[3] هذا الفقر . من لم تصحبه فيه التقية أكل الحرام النصّ[4] .

وحدثت بسندها عن ابن حسان قال : كان سهل يقول :

لا يبلغ الإنسان إلى السماء حتى يدفن نفسه في الأرض ، فإذا دفنها في الأرض الأولى بلغ سماء الدنيا وكذا الأرضين السبع . فإذا بلغ الثرى بلغ العرش .

---

(١) الأبيات في الأغاني ٣٤٦/٨ في أربعة أخبار متتالية بخلاف في ترتيبها وروايتها ، وبإضافة البيتين التاليين في الخبر الثاني :

وهـــو كالليث إذا مـــا ... عُـــدَّ أصحـــاب الـــدروعِ
يقنص الأبطـــال ضربـــاً ... في مضيٍّ ورجـــــوعِ

وبإضافة البيت التالي في الخبر الرابع :

ونجيٌّ الهـــمّ مني ... بـــات أدنى من ضلـــوعي

(٢) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

(٣) فقر مُرِبّ : لازم غير مفارق ، من أرب بالمكان إذا أقام به ولزمه . اللسان : ربب .

(٤) النّص : أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها . اللسان : نصص .

وبسندها عن أبي بكر الدّقي قال : حكى لنا الزّقاق

أنه قيل لذي النون : لمن أصحب ؟ قال : لمن يسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ ، ثم سألته ثانية : لمن أصحب ؟ قال : لمن إذا أذنبتَ أنت تاب هو ، وإذا مرضت[1] عادك . وسئل مرة أخرى : لمن أصحب ؟ فقال : لمن يعلم فيك ما يعلمه الله منك ، فتأمنه على ذلك .

١٦١ ـ سيدة بنت عبد الله

امرأة أبي الحسين البلوطي

قالت : سمعت أبا إسحاق البلوطي

يُحرِّض على قراءة سورة القدر .

---

(١) الأصل : مرض .